

لم أجد نصًا صريحاً يبين ترتيب أشرطة الساعة الكبرى حسب وقوعها، وإنما جاء ذكرها في الأحاديث مجتمعة بدون ترتيب، إذ كان ترتيبها في الذكر لا يقتضي ترتيبها في الواقع، فقد جاء العطف فيها بالواو، ومن النصوص ما خالف ترتيبها فيه ترتيبها في نص آخر. فسأذكر نماذج من ذلك بذكر بعض الأحاديث التي تعرضت لذكر الأشرطة الكبرى جملة أو ذكر بعضها: 1- روى الإمام مسلم عن حذيفة بن أسد الغفارى رضى الله عنه قال: أطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن ننتذكرون، فقال: "ما تذاكرون؟" قالوا: نذكر الساعة، والدابة، وطلع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخشوف بالمغرب، وخشوف بجزيرة العرب، وأخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم" (صحيح مسلم - مع شرح النووي). وروى مسلم هذا الحديث عن حذيفة بن أسد بلفظ آخر، وهو: "إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخشوف بالمغرب، ويأجوج ومأجوج، وطلع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس". وفي رواية: "والعاشرة: نزول عيسى بن مريم" (صحيح مسلم - مع شرح النووي). فهذا حديث واحد عن صحابي واحد جاء بلفظين مختلفين في ترتيب الأشرطة. أو الخاصة أحدهم، أو أمر العامة" (صحيح مسلم - مع شرح النووي). ودابة الأرض، وأمر العامة، وخشوفة أحدهم وهذا أيضًا حديث واحد عن صحابي واحد جاء بلفظين مختلفين في ترتيب بعض الأشرطة وفي أدلة العطف، وهم لا يدلان على الترتيب. كما ورد في بعض الروايات: حسب وقوعها؛ ثم نزول عيسى عليه السلام لقتله، ثم خروج يأجوج ومأجوج في زمن عيسى عليه السلام، وذكر دعاءه عليهم بالهلاك. ومع هذا؛ فإن هناك اختلافاً في هذه الأولية بين العلماء، وهذا الاختلاف موجود في عصر الصحابة رضى الله عنهم، فسمعوا وهو يحدث عن الآيات أن أولها خروجاً الدجال، فقال عبد الله بن عمر: لم يقل مروان شيئاً، قد حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها؛ فالآخرى على إثرها قرباً" هذا لفظ مسلم. وزاد الإمام أحمد في روايته: "قال عبد الله - وكان يقرأ الكتب - : وأظن أولادها خروجاً طلوع الشمس من مغربها" (مسند أحمد تحقيق أحمد شاكر، نعم؛ جمع الحافظ ابن حجر بين أولية الدجال وأولية طلوع الشمس من مغربها، فقال: "الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى عليه السلام، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب". تميز المؤمن من الكافر؛ تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس" (فتح الباري). ويرى الحافظ ابن كثير أن خروج الدابة هو أول الآيات الأرضية التي ليست بمؤلفة؛ فإن الدابة التي تكلم الناس وتعين المؤمن من الكافر أمر مخالف للعادة المستقرة. وأما طلوع الشمس من مغربها، وذلك أول الآيات السماوية. وخروج يأجوج ومأجوج؛ فإنهم وإن كان ظهورهم قبل طلوع الشمس من مغربها، إلا أنهم بشر، مشاهدتهم وأمثالهم من الأمور المألوفة؛ بخلاف ظهور الدابة وطلوع الشمس من مغربها، فهو ليس من الأمور المألوفة (انظر: النهاية). والذي يظهر أن المعول عليه ما ذهب إليه ابن حجر؛ فإن خروج الدجال من حيث كونه بشراً ليس هو الآية، وإنما الآية خروجه في حالته التي هو عليها من حيث كونه بشراً، فتنبت، ويكون معه كذا وكذا مما ليس مألوفاً؛ كما سيأتي في الكلام على الدجال. فالدجال في الحقيقة هو أول الآيات الأرضية التي ليست بمؤلفة. ومن الثاني: الدخان، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس" (فتح الباري). وهذا ترتيب بين جملة من الآيات وجملة أخرى منها؛ دون تعرض لترتيب ما اندمج تحت هاتين الجملتين، مع أنه يظهر لي أن الطيبى يرى ترتيب الآيات حسب ما ذكره في كل قسم؛ فإن هذا التقسيم - الذي نبه إليه - تقسيم حسن ودقيق؛ ليتوبيوا ويرجعوا إلى ربهم، ولم يكن هنالك تمييز بين المؤمن والكافر، وذلك مناسب لها. وأما إذا ظهر القسم الثاني - الدجال على حصول الساعة - فإن الناس يتميّزون إلى مؤمن وكافر؛ كما سيأتي أنه عند ظهور الدخان يصيّب المؤمن كهيّة الزكام، والكافر ينتفخ من ذلك الدخان، فيقف بباب التوبة، ولا التائب توبته، فتميّز بين الناس، كما سيأتي ذكر ذلك، ثم يكون آخر ذلك ظهور النار التي تحشر الناس. وقد جريت في ذكرى لأشرطة الساعة الكبرى على هذا الترتيب الذي ذكره الطيبى؛ والله أعلم. وقبل ذكري لهذه العلامات العشر الكبرى تحدث عن المهدى؛ لأن ظهوره يكون سابقاً لهذه العلامات، ويصلى خلفه: